اللغة، قراءة في المفهوم، النشأة والتطور عبر العصور

Language, reading in concept, emergence and development through the ages

1.د.عيواج صونيا، مؤسسة جامعة باتنة1، sonia.aiouadj@gmail.com

D.Aiouadj sonia

تاريخ الاستلام: 11 /جانفي/2021 تاريخ القبول: 15/مارس/2021

ملخص:
يهدف بحثنا الى الخوض في تاريخ ونشأة موضوع يعتبر من أهم مواضيع الاتصال وهو أعظم ما اخترعه الإنسان للتواصل وهو اللغة، وهي الأداة الأمثل التي يعبر بها عن أغراضه، وأفكاره واتجاهاته، وبها تنتقل خبرات بني الإنسان عبر الأزمنة والأمكنة بلا حدود وعبر كل الحضارات، لذلك فقد اهتم الإنسان باللغة وبدراستها وتطويرها والنظر في قواعدها، ومدلولاتها وصورها ورغم تعدد الحضارات فقد سعت آفاق العلماء واشتدت العناية باللغة وكل ما يتصل بها ونشأت عنها دراسات كان القصد منها ضبط قواعد اللغة من العصور القديمة الى عصر النهضة وما توصلنا اليه أنه يوجد تباين في الدراسات اللغوية التقليدية والحديثة في تناولها للغة إلى أن جهود العرب في مجال البحث اللغوي الذي بدأ مع قيام الحركة العلمية في القرن الثاني للهجرة أدق ما عرفته البشرية في عصورها القديمة.
كلمات مفتاحية: علم اللغة؛ دراسات لغوية في العصور القديمة؛ دراسات لغوية في العصور الوسطى؛ دراسات لغوية في عصر النهضة؛ مدرسة عربية.

Abstract:
Our research aims to delve into the history and emergence of a topic that is considered one of the most important places of communication, and it is the greatest invention of man for communication, which is language, and it is the ideal tool by which he expresses his purposes, ideas and directions, and through it the experiences of human beings are transmitted through time and places without limits and across all civilizations, so it has Man has been interested in language, studying and developing it, looking at its rules, its connotations and its images. Despite the multiplicity of civilizations, the horizons of scholars have expanded and the attention to language intensified and everything related to it has arisen, and studies have emerged from it that were intended to control the grammar of the language from ancient times to the Renaissance. The modern approach to language indicates that the efforts of the Arabs in the field of linguistic research, which began with the rise of the scientific movement in the second century of migration, are the most accurate what humanity knew in its ancient times.
***Key words**: linguistics; Linguistic studies in antiquity; Medieval language studies; Linguistic studies in the Renaissance period; Arab school.*

مقدمـــة:

إن الدراسات اللغوية من المواضيع المهمة في علم النفس عامة وفي علم النفس اللغوي خاصة لأن اللغة تمثل الخاصية أو المظهر المميز للإنسان عن باقي المخلوقات، فهي عامل هام في حياة الإنسان، وفي كونها تتركز حول شتى فعالياته الفكرية والحركية والاجتماعية والنفسة والتكيفية، وتجعله يتحرر من عالمه المادي، والواقع أن كل ما جعل من الإنسان كائنا إنسانا هو اللغة، فاللغة كما ذكر العالم التربوي ادوارد تورندايك: أنه أعظم ما ابتكره وأبدعه الإنسان ويرى علماء اللغة أنها في حياة الإنسان عبارة عن وظيفة function ، كما أنها عبارة عن تعلم Learning ، فهي وظيفة لأن كل كائن بشري طبيعي يستخدم لغته في الحديث والكلام من أجل الاتصال مع الآخرين أو التعبير عن أفكاره وهو تعلم لأن مجموع الرموز التي تتكون منها اللغة أو التي يمثلها الطفل تكتسب تدرجيا.

وباختلاف العلوم والعلماء والحقب الزمانية والمكانية تختلف النظريات المفسرة للغة وبما أنها شريكة الاتصال، سنحاول من خلال هذه القراءة التحليلية التعرف أكثر على ظهور اللغة في مختلف الحقبات الزمنية وعبر مختلف الحضارات.

1. علم اللغة:

1.1 تعريف علم اللغة:

"هو العلم الذي يدرس الظاهرة اللغوية بأبعادها الشكلية-التركيبية وأبعادها الوظيفية".[1]

"علم اللغة لا يهتم بلغة واحدة بعينها لأنه يركز على إيجاد نظريه عامة ومنهج عام لدراسة الظاهرة اللغوية الإنسانية على اختلاف مظاهرها الشكلية والوظيفية"[2]

2.1 فروع علم اللغة:

نتناولها باختصار حسب مجالاتها في البحث:

1.2.1 علم اللغة الوصفي:

يتناول وصف الظاهرة اللغوية وتقنينها في مرحلة معينة.

2.2.1 علم اللغة التاريخي:

يدرس التطورات التي تطرأ على اللغة في صفاتها الشكلية والوظيفية على مدى فترات زمنية متتالية.

3.2.1 علم اللغة المقارن:

يهتم بالنظرية والمنهج العلميين للمقارنة بين اللغات المتباعدة وليس بينها علاقات تاريخية واضحة مثل العربية والإنجليزية.

2. دراسة اللغة في العصور القديمة:

تدل البحوث على أن الحضارات الشرقية قد اهتمت باللغة اهتماما لا نظير له، في البقاع المختلفة من العالم ففي القرن العاشر قبل الميلاد أي قبل بداية الحضارة الغربية في اليونان قد كان هناك تطور في نظام الكتابة والفكر اللغوي نستهله ب:

1.2 عند قدماء المصريين:

يعتمد المفكرون القدماء بصفة عامة الملاحظة والتجربة في دراسة الظواهر اللغوية وذلك في أغلب الحضارات القديمة وقد ربطوا المسألة اللغوية بالاعتقادات والأساطير فيرجح المصريون القدماء نشأة الكتابة إلى الإله "طوت" .

ويرى علماء اللسانيات أن اللغة المصرية القديمة تنتمي إلى الشعبة الأفرواسيوية ويمتد تاريخها من4000ق م إلى القرن السابع الميلادي حيث اعتنق المصريون الإسلام وفضلوا استعمال اللغة العربية على لغتهم القديمة وأدى هذا إلى انن2كماش اللغة المصرية.

وتتشكل الكتابة المصرية القديمة من خطوط هيروغليفية والخط الهيروغليفي لا يمثل الحروف ولا يعكس الأصوات المنطوقة بل يستخدم الصور للتعبير عن الأفكار.

أما **الدراسات اللغوية:**

فغالب الظن أنها منعدمة تماما وحتى الوثائق الضرورية التي تدل على وجود هذه الدراسات غير متوفرة، قال جورج مونان: "عند اطلاعنا على الأثريات المصرية القديمة لم نجد شيئا تحت عنوان مدرسة أو تعليم أو عما كان المصريون يعرفونه عن لغتهم، أو عما كانوا يدرسونه، وعلى الرغم من هذا القحط اللغوي إلا أنه لا يمكننا أن ننكر فضل هؤلاء الفراعنة بل ينبغي ان نعترف بصنيعهم[3]

2.2 عند السومريين والأكاديين:

السومريون هم ابناء "سومر" الذين عمروا جنوب أراضي الرافدين قبل مجيء الوافدين الأكاديين إليها ويرجع الفضل إليهم في اختراع الخط المسماري، والكتابة المسمارية تقسم الكلمة إلى مقاطع وتعبر عن كل مقطع رمز خاص، وكانوا يكتبون هذا الخط بأقلام من حديد أو خشب في عجين الطين فيضغط الكاتب بقلمه ليرسم الخطوط التي يشاء ثم تحرق العجينة لتصير آجرا، قال "ولفنسون": "ولقد كتب لهذا الخط أن يعمر طويلا وانتشر انتشارا عظيما بعد امتداد دولة بابل وآشور فكانت قبائل والفرس وأرمينيا وفلسطين تستعمل هذا لخطا.

أما الاكاديون فهم من الشعوب السامية هاجروا أول مرة إلى العراق حوالي 3600 ق م. سموا بهذا الاسم نسبة إلى "أكد" المدينة التي كانوا يسكنونها والأكادية كما يقول محمد علي الخولي: "لغة سامية شرقية استعملت في العراق، بين القرن 28 ق م، والقرن الأول ق م [4]

وقد نتج عن اختلاط السومريين بالأكاديين لغة مزدوجة دامت أكثر من 600 عام ولكن سرعان ما انتشرت الأكادية على حساب اللغة السومرية التي اختفت تماما، وبما أن الأكاديين قطنوا بابل واتخذوها عاصمة لهم فقد أصبحوا ينتسبون إليها واشتهروا بالبابليين.

وقد اهتموا بصناعة المعاجم إذ قاموا بتصنيف العلامات البسيطة التي تنوب عن المفردات الأحادية وقاموا بتعداد العلامات المسمارية متعددة المعاني التي يدل فيها الرسم الواحد على عدة أشياء متقاربة في الكلام، وظهرت عندهم معاجم أحادية اللغة وهناك معاجم ثنائية سومرية أكاديمية وقد عثر العلماء في يوغاريت على معجم رباعي اللغة سومري اكادي حوريتي يوغارتي.

3.2 عند قدماء الصينين:

يرجع البحث اللغوي عند الصينيين القدامى إلى حوالي 2800 ق م، وقد استخدموا اللغة الصينية القديمة، والتي ناقشوا العديد من المسائل المتعلقة بها فقد انقسموا بشأن نشأتها فمنهم من رأى أنها من صنع الطبيعة ومنهم من رأى أنها من قبيل الاصطلاح كما ناقشوا مسألة علاقة الدال بالمدلول وتوصلوا إلى أنها اعتباطية، قال الفيلسوف الصيني هتسون تسو-238 ق م-"إن تسمية الأشياء لا تتم إلا بالموافقة وبعد ذلك تصبح التسمية عادية ومناسبة وأن الأسماء لا تحتوي على حقائق صوتية ملازمة لها"، ويعرف نظام الكتابة الذي ظهر لأول مرة بالصين حوالي 2850 ق م(الباكوpakwa) وهو عبارة عن رموز تمثل أفكار وأشياء لا كلمات، خاصة بهذه الأفكار والأشياء وتتكون من مفردات أحادية المقطع ، وتصنف اللغة الصينية ضمن اللغات الفاصلة فهي لا تستعمل الزوائد، والمعروف أن اللغة الصينية لغة معقدة تعقيدا شديدا حيث أن لكل كلمة رمزا مختلفا يحفظ على حدة وتشير بعض الدراسات إلى أن عدد الرموز المتداولة في حياة الناس اليومية يفوق 8000 رمز في معظم الأحيان.

اهتم الصينيون بدراسة الفنولوجيا أي وظائف أصوات اللغة كما درسوا نحو اللغة الصينية واهتموا بصناعة المعاجم التي انتشرت في هذه البلاد مع بداية القرن الثاني قبل الميلاد، ذكر "مونان" أن هناك معجم ضخم ظهر في القرن الأول قبل الميلاد يحوي 9000 علامة وسبقه معجم يحوي 24000 علامة في القرن 6 ق م

4.2 عند الفينيقيين:

سكن الفينيقيين الشام وأقاموا بها حضارة عريقة امتدت من القرن 15 ق م إلى القرن الأول الميلادي ونظرا لانشغالهم بالتجارة البحرية فقد أقاموا عددا من المحطات التجارية وأسسوا مجموعة من المدن على سواحل البحر الأبيض المتوسط، والفينيقية لغة بائدة تنتمي إلى اللغات الكنعانية التي تمثل الفرع الشمالي للمجموعة السامية العربية.

إذا كانت بعض الأمم السابقة قد ابتكرت الكتابة الهيروغليفية أو المسمارية فإن الفينيقيين هم أول من اخترع الابجدية المهنية على أساس صوتي وأخذ اليونانيون عنهم نظام الأبجدية الصوتية في القرن التاسع قبل الميلاد.

وجدير بالذكر أن الكتابة الفينيقية كتابة متطورة بالقياس إلى أشكال الكتابة التي عرفتها للغات السابقة وقد أحدثت، ثورة في طريقة الكتابة وغيرت المفاهيم القديمة البالية فهي كتابة صوتية محضة تختلف اختلافا جذريا عن الكتابة الفرعونية والصينية والسومرية وعلاوة على هذا فلا يمثل أي حرف في الفينيقية إلا صوتا واحدا، والملاحظ هنا أن الفينيقيين قد اكتفوا باستعمال الحروف الصوامت دون الحركات وبدت لهم الكتابة على هذا الموال امرأ بديهيا.

والثابت لدى المؤرخين أن الكتابة الفينيقية كان لها أثر كبير على نشأة معظم أبجديات العالم وقد تفرعت منها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة جميع الأنظمة الألفبائية التي عرفتها مختلف الأمم حتى يومنا هذا.[5]

5.2 عند اليهود:

اللغة في رأيهم هي توفيق والهام من الله، وأول من تعلمها ادم عليه السلام، وكل ما دعا به ادم ذات نفس حية، فهو اسمها، كما تم الحديث عندهم من قصة برج بابل حيث كانت في كل الأرض لغة واحدة وفي الأخير، بدد الله مجهودات أبناء نوح الذين حاولوا استعمال برج بابل للعروج الى السماء، وبلبل ألسنتهم جميعا فاختلطت عليهم اللغات وأصبحت عملية التواصل بينهم امرا مستحيلا.

6.2 عند قدماء الهنود:

بدأ النحاة الهنود يفكرون في المسائل اللغوية قبل الإغريق بحقبة زمنية طويلة وقد اتسمت أعمالهم بالدقة الكبيرة وتوصلوا إلى نتائج تشبه إلى حد بعيد بعض نتائج اللسانيات الحديثة وخاصة في مجال الصوتيات.

اعتقد الهنديون أن اللغة الهندية من صنع الاله " أندرا" الذي أعطى كل الأشياء والحيوانات اسماءها ... ويميز الباحثون بين مرحلتين مختلفتين للغة الهندية: السنسكريتية الفيدية، والسنسكريتية الكلاسيكية، وذهبوا إلى أن اللغة الأولى لم تدون إلا حوالي 800 ق م وأنها لغة أقدم الكتب المقدسة، وهذا الشكل القديم للسنسكريتية أصبح غير مفهوم مع مرور الزمن لتحل محله الكلاسيكية.

وقد نشأت، الدراسة اللغوية عند الهنود حفاظا على "الفيدا" وتناولت كل مستويات التحليل اللساني وركزت على الدراسات الصوتية لأجل النطق الصحيح للكتاب المقدس وقد تفوق الهنود في هذا المجال تفوقا شديدا سواء من الناحية النظرية أو التعليمية[6]

وأشهر بحث لغوي في الدراسات الهندية هو النحو "البانيني" نسبة إلى العلامة الهندي "بانيي" الذي قام بتحليل كل مظاهر اللغة السنسكريتية وتقنينها ويعد النحو الذي كتبه "بانيي" عملا تقنيا عظيما لا يشبه الأنحاء التقليدية في شيء بل هو أقرب إلى قواعد الحساب وقوانين الجبر ولأن عمل "بانيي" شديد التعقيد فلا يمكن فهمه إلا بالاستعانة بالشروح التي وضعت له ويحتوي كتابه على 4000 قاعدة لغوية، كما عرف التاريخ الهندي اللغوي وجود 12 مدرسة لغوية وأكثر من 1000 عمل نحوي.

ان العمل اللغوي الهندي يعتبر من أبرز العوامل التي ساعدت على تطور اللسانيات المقارنة وكأن له أثر ملموس على لسانيات القرن العشرين وقد كان الهنود يولون عناية باللغة والنحو لأنه الوسيلة الوحيدة التي تقوم ألسنتهم وتحفظ كتبهم المقدسة ولهم في هذا مقولة مأثورة " ان الماء هو أقدس شيء على الأرض والكتب المقدسة أكثر قداسة من الماء ولكن النحو أكثر قداسة من الكتب المقدسة "[7]

7.2 عند الاغريق:

بدأ الفكر الاغريقي يتبلور في القرن السادس قبل الميلاد ومنه دراسة اللغة التي تمحوا فيها النظر المنطقي العقلي حتى غدا النحو جزءا لا يتجزأ من الفلسفة وناقشوا العديد من المسائل المرتبطة باللغة منها مسألة نشأتها وانقسموا في ذلك إلى فريقين: طبيعيين واصطلاحيين، يرى الفريق الأول وعلى رأسه " أفلاطون" أن اللغة من صنع الطبيعة ويرى الفريق الثاني الذي يتزعمه " ارسطو" ان اللغة من قبيل الوضع والإصطلاح.

وقد قام النحاة الإغريق بدراسة مظاهر النحو، حيث نشأت في هذه الحضارة مدارس لغوية كمدرسة الرواقيين ومدرسة الاسكندرانيين.

8.2 الرومان:

لقد قيل منذ القدم إن الإغريق يؤمنون بالفلسفة والمثالية وأن الرومان يؤمنون بالواقعية والمنفعة المادية ومع هذا فقد انبهر الرومان بالتراث الإغريقي إلى درجة جعلتهم مقلدين أكثر منهم مخترعين.

إن أول من أخل الدراسات اللغوية الى الرومان قراطيس، ولظروف صحية مكث قراطيس مدة زمنية معتبرة في الرومان وفي ذلك الوقت قدم دروس في اللغة والفلسفة، وفي القرن الثاني قبل الميلاد ظهرت حركة ترجمة كل الاعمال النحوية والأدبية والفلسفية والثقافية من اللغة الاغريقية الى اللغة اللاتينية.

وفيما يتعلق بالدراسات اللغوية فقد استمرت الفلسفة في توجيه الأعمال النحوية واستمر الخلاف حول نشأة اللغة بين الطبيعيين والاصلاحيين وان من أشهر نحاة الرومان varro(116-27ق م) ،كونتيلينquntilin 35م- 90م، priscian(512-560) [8]

3. الدراسات اللغوية في القرون الوسطى:

1.3 الدراسات اللغوية الغربية:

اهتم الباحثون بشرح النصوص اللاتينية باللغات العامية حيث أصبحت تعد سجلا ثريا لتاريخ بعض اللهجات التي أصبحت فيها بعد لغات قائمة بذاتها ، أما الدراسات النحوية فقد التزم نحاة هذه المرحلة بتطبيق القواعد والنظريات التي توصل إليها الإغريق ، وظل النحو محل اهتمام نظرا للعلاقة الوثيقة التي ربطت النحو بالفلسفة ،ولئن كان النحو قد عد فنا حرا ووسيلة للقراءة والكتابة ، فانه أضحى تابعا لعلم اللاهوت ودراسة العقيدة المسيحية كغيره من الفنون الحرة الأخرى، وبشكل عام فإن علماء هذا العصر كانوا يرغبون في إنشاء نظرية معرفية واحدة تكتسب بمقتضاها كل العلوم والفنون ومبادئ فلسفية ودينية واحدة[9]

2.3 الدراسات اللغوية العربية:

تنتمي اللغة العربية إلى اللغة السامية التي تظم عددا من اللغات القديمة منها العبرية، والآشورية، الكنعانية....، ويتفق كل اللسانيين على أن اللغات السامية قد ظهرت لأول مرة في أرض بابل بالعراق، ثم انتشرت في شبه الجزيرة العربية والبقاع المجاورة لها، ومع مرور الزمن اختلفت هذه اللغات عن اللغة الأولى التي تفرعت عنها وظلت اللغة العربية محافظة على أهم خصائص اللغة السامية الأولى لأنها كانت تعيش معزولة عن العالم في شبه جزيرة العرب، ولا تستعملها إلا القبائل العربية في هذه المنطقة الصحراوية [10]

أما عن الدراسات اللغوية العربية فقد بدأت تتطور بعد ظهور الإسلام في القرن السابع للميلاد وبدأت تظهر معها بعض المسائل اللغوية التي ناقشها علماء اليونان، والرومان وغيرهم، فمنهم من قال بأنها وضعية إصلاحية وضعها العربي الأول لتسيير الاتصال وتلبية المطالب الاجتماعية، كما نجد ذلك عند ابن جني في كتابه الخصائص، ومنهم من قال بأنها توفيقية (أي أنها الهام من الله تعالى إلى عبده الأول أدم عليه السلام كما أن النحو العربي ترجع نشأته الى خشية المسلمين على القرآن الكريم[11].

4. الدراسات اللغوية في عصر النهضة ومطلع العصر الحديث:

ان مصطلح النهضة (renaissance) مفهوم أوروبي محض، يعني لغويا، الانبعاث او الولادة من جديد، ويدل في الاصطلاح على الفترة الانتقالية التي حدثت في اروبا بين العصور الوسطى والعصر الحديث أي منذ القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر للميلاد.

مع عصر النهضة سعت آفاق العلماء واشتدت العناية باللغة وكل ما يتصل بها، وبما ان المثقفين كانوا مولعين بالأدب الكلاسيكي القديم، فقد نشأت دراسات كان القصد منها ضبط القواعد اللاتينية، وتمهيد السبيل أمام من يريد تقليد(ciriro) والتمتع بملحمة فيرجيل (vergil) وغيرها من روائع الأدب الروماني واستغرق الأمر قرون لتستيقظ الشعوب من سباتها وتشعر أن لها شخصية متميزة فتستجيب لنداء القومية وتتمرد وتعمل على إحياء لغاتها غير أن هناك خطئين ارتكبهما العلماء:

- اتخاذهم القواعد اللاتينية وتطبيقها على لغاتهم رغم عدم تطابقها.
- اعتمادهم أن أصل كل اللغات هي العبرية ولقد راحوا يزعمون أن العبرية هي لغة أهل الجنة وكان يكفي أن يوجد تشابه في اللفظ أو التركيب بينها وبين اللغات الأخرى حتى يقال إنها أصل تلك اللغات.

5. النظريات الحديثة:

لم يتوقف البحث في أصل اللغة ونشأتها، فظهرت في القرن 19 نظريات جديدة منها:

نظرية1: نظرية الغريزة الكلامية:

رأى أصحاب هذه النظرية أن أصل اللغة راجع الى غريزة خاصة تحمل الإنسان على التعبير عن الانفعالات أو الأشياء بكلمة خاصة من أنصارها العالم الفرنسي renir londras والعالم الألماني: ميلر ماكسmiler max .

نظرية 2:

علماء آخرون يروا أن اللغة بدأت بالشهاقات أو التأهيلات التي تصدر عن الانسان في حالة الحزن أو الفرح أو الدهشة مسندين على نظرية داروين التي تقوم بالتطور الكائنات الحية بينما يرى المعروض أن هذه الأصوات تتم بصورة فجائية بعيدة عن الكلام.

نظرية3:

يرجع بعضهم نشأة اللغة الى أن اللغة كانت من خلال عمل جماعي في الأفراد أثناء قيامهم بعمل شاق تعاونوا على أدائه، فهم يرون أن الانسان يجد الراحة أثناء قيامه بعمل شاق إذا تنفس أو تنهد من الأعماق، فربما "قصدهم " تصدر عنهم أصوات أثناء العمل ترتبط بالعمل نفسه وتصبح فيما بعد دالة عليه فينطقون بها، كلما تكرر هذا العمل.

نظرية4:

درس أصحاب هذه النظرية مختلف النظرات السابقة فدونوا الملاحظة والخبرات والتجارب وأقاموا نظريتهم الجديدة وقسموها الى 3 أسس:

أ. دراسة مراحل النمو اللغوي عند الطفل.

ب. دراسة اللغة في الأمم البدائية.

ت. دراسة تاريخه للتطور اللغوي.[12]

6. المدرسة العربية:

اهتم الإنسان باللغة وبدراستها وتطويرها والنظر في قواعدها، ومدلولاتها وصورها" وتعد جهود القدماء من العرب في مجال البحث اللغوي الذي بدأ مع قيام الحركة العلمية في القرن الثاني للهجرة أدق ما عرفته البشرية في عصورها القديمة[13]

والدليل على ذلك ما يزخر به تراثنا اللغوي وما يمتاز به من غزارة الإنتاج، وتنوع الاتجاهات، وشمولية البحث، ودقة المنهج، ولعل أهم دافع لوضع هذه المناهج والنظريات لدراسة اللغة هو حماية اللغة العربية -لغة القرآن-من اللحن والزلل، فكان علم النحو حصنا منيعا لها، تقوم به الأخطاء، وتروض به الألسن، وكانت جهود النحاة العرب القدامى أمثال: **الخليل الفراهيدي، وسيبويه** النواة الأولى لدراسة اللغة العربية " وليس مستغربا أن نجد كتاب سيبويه وآراء الجرجاني في النظم تخضع للمقارنة بآراء **دي سوسير وشومسكي** وغيرهما"[14]

ونجد تباينا واضحا بين الدراسات اللغوية التقليدية والحديثة في تناولها للغة، فالدراسات التقليدية تستند إلى الاتجاه المعياري الذي يعني: "عدم وصف اللغة في حقائقها الموضوعية كما يستخدمها أبناء اللغة، بل التوجه إلى وضع الأسس والقواعد التي ينبغي أن يلاحظها ويطبقها إذا ما أراد استخدام اللغة استخداما صحيحا، فبدلا أن تصف الدراسة اللغوية ما الذي يقوله ويكتبه أبناء اللغة فعليا فإنها تحدد لهم ما الذي يجب أن يقولوه ويكتبوه[15]

كما تعتبر أن اللغة المكتوبة هي اللغة الصحيحة، وتمثل الصورة الصحيحة للغة وتهمل اللغة المحكية (الملفوظة) وهنا تستثنى الأخطاء اللغوية الفردية لأنها شاذة ولا تمثل العرف اللغوي السائد.

تركز الدراسات اللغوية على أن اكتساب اللغة لا يعني إتقان تقليد العينات اللغوية التي يتعرض لها الفرد منذ طفولته لأن هذه العينات لا تتكرر إلا نادرا، وهي لا محدودة ولا نهائية، ولكن الإنسان يستخرج من هذه العينات بصورة تلقائية وفطريا النظام اللغوي الذي تولدت عنه هذه العينات ويختزنه في دماغه، وبعد اكتماله يستخدمه في توليد تغيراته الخاصة الجديدة. [16]

1.6 نشأة الدراسات اللغوية العربية (التراث اللغوي العربي):

مع ظهور الإسلام لم يكن البحث اللغوي عند العرب من الدراسات المبكرة لأنهم وجهوا اهتمامهم إلى العلوم الشرعية يقول **السيوطي** في كتابه (تاريخ الخلفاء):"منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث النبوي الشريف ويؤلفون في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني وبعد أن تم تدوين هذه العلوم اتجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية ومنها اللغة والنحو".[17]

لقد نشأت الدراسة اللغوية العربية في رحاب التحول الفكري والحضاري الذي أحدثه القرآن الكريم في البيئة العربية انطلاقا من الشعور بمعجزة البناء اللغوي على المستويين التركيبي والدلالي هذا من جهة، ومن جهة أخرى رغبتهم في الحفاظ على اللغة العربية الفصحى من أن يصيبها اللحن والانحراف خاصة بعد انتشار الإسلام في أنحاء المعمورة واعتنقه الأعاجم ،اهتمت الدراسات العربية بالأصوات، النحو، الصرف، والمعجم وحضي الجانب الصوتي لاهتمام خاص فقد قال المستشرق الألماني **برجستراسر**:" لم يسبق للأوربيين في هذه الدراسة (الأصوات)إلا قومان العرب والهنود" [18]

2.6 مميزات الدراسات اللغوية العربية:

تميزت الدراسات المرئية بالشمولية فقد استوعبت اللغة العربية الفصحى ولهجاتها المختلفة، ووصفها عضويا دقيقا على المستوى النطقي والسمعي فتحدثوا عن مخارج الحروف ومداخلها وعن صفاتها، ونجد ذلك في كتاب العين **للخليل الفراهدي** وكذلك في مؤلفات **سيبويه وابن جني وابن سينا والفرابي**، كما درسوا التغيرات التي تطرأ على الأصوات بسبب السياق مثل الإدغام ،والاقلاب أوما يسمى اليوم الفنولوجيا.

تناولت البحوث العربية علم الصرف (الاشتقاق، الصيغ، والأوزان) وقد كانت دراستهم تماثل ما يطلق عليه اليوم التوزيعية والمنهج القالبي [19]

أما النحو فقد أخذ نصيبا عظيما من هذه الدراسات حيث ظهرت مدارس نحوية كثيرة سنأتي على ذكرها لاحقا، ولقد ساهمت مؤلفاتها الهائلة في الحفاظ على اللغة العربية.

لم تغفل الدراسات العربية عن دراسة اللغة في مستواها الدلالي، المعجمي ولقد امتدت هذه البحوث من القرن الثالث هجري إلى القرن الثامن الهجري واهتمت هذه البحوث والدراسات بالظواهر اللغوية كالترادف، المشترك اللفظي، الأضداد، المعرب، الدخيل، القياس والاشتقاق، كما اهتمت بالحقيقة والمجاز والأساليب وتعد نظرية الجرجاني بؤرة الدرس الدلالي العربي [20]

3.6 العلاقة بين اللسانيات العربية الحديثة والتراث اللغوي العربي:

تهتم اللسانيات بدراسة اللغة بغض النظر عن الأقوام التي نستعملها ويدخل في إطارها كل اللغات البشرية بما فيها العربية. لقد درسها العلماء الغربيون واستفادوا من التراث العربي والقديم بأنه كما سبق وأن ذكرنا يتميز بشمولية وعمدوا إلى أمهات الكتب والمؤلفات العربية وترجموها ودرسوها، وقد اعترف علماء منصفون بدور التراث العربي أمثال **تشومسكي** إذ يقول «قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت أشتغل ببعض البحوث... ومازالت أذكر دراستي للآجرومية وكنت مهتما بالتراث العربي العبري".[21]

يقول الحاج صالح: ومن الغريب جدا أن تكون هذه الأعمال التي لا تقل أهمية عن أعمال أكبر العلماء المحدثين في العلوم الأخرى مجهولة تماما عند أكثر الناس بل مجهولة في وجوهرها عند كثير من الاختصاصيين المعاصرين، كما أن المدرسة الخليلية قدمت انتقادات كثيرة ومعتبرة للمدارس اللسانية الغربية وأحدثت ثورة جديدة في ميدان اللسانيات.

7. المدرسة العربية القديمة:

كما قلنا سالفا أن مصطلح اللسانيات حديث النشأة فقد كانت الدراسات اللغوية تندرج تحت مسميات عديدة كعلوم اللغة، علوم اللسان وعلوم النحو، وهذا الأخير جاء نتيجة اللحن والخطأ الذين لحقا اللغة العربية جراء اختلاط العرب بالعجم بعد انتشار الإسلام فخاف المسلمون على القرآن الكريم من التحريف والتأويل الخاطئ وهكذا ظهر ما يسمى إعلام النحو.

1.7 النحو:

1.1.7 تعريف النحو:

النحو لغة هو القصد والطريق وندرج هنا قول الأزهري:" قال الليث: بلغنا أن أبا الأسود وضع وجوه العربية وقال للناس: انحوا نحوي فسمي نحوا".[22]

أما اصطلاحا فنورد تعريف ابن جني في كتابه (الخصائص) إذ يقول: " النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصريفه وإعرابه وغيره... ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذ بعظهم عنها رد به إليها "[23]

وبالتالي فهو ضبط أواخر الكلمات إعرابا وبناءً، ووظيفته فهم مضمون النص وعناصره اللغوية، وتذوق مميزاته الجمالية، ومكوناته الأسلوبية، فهو ليس نحو إعراب وقواعد فقط.

2.1.7 نشأته:

رغم اختلاف الآراء حول نشأة النحو إلا أن الكثيرين ينسبونه إلى أبي الأسود الدؤلي كما جاء في الكلام الأزهري ونشأ لعدة أسباب هي:

- أسباب دينية (الحرص على القرآن وأحكام الدين).
- أسباب قومية (الخوف على اللغة العربية في حد ذاتها).
- اجتماعية (دخول الأعاجم الإسلام وحاجتهم إلى تعلم العربية).
- حضرية وفكرية (توجه الفكر العربي إلى رصد ودراسة الظواهر اللغوية).

2.7. المدارس النحوية:

ظهرت عدة مدارس نحوية تختلف عن بعضها في منهج البحث والتأصيل للقواعد التي تحكم الظاهرة اللغوية وتصفها.

1.2.7المدرسة البصرية:

وضع أساسها سيبويه انطلاقا مما أخذه عن معلمه الخليل الفراهيدي: يعتمد البصريون في دراستهم اللغوية على الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللسان فاعتمدوا في القياس على القبائل الأصيلة " واختاروا قيسا، تميما وأسدا"[24]

وكانوا يأخذون الشواهد ممن يختبرون فقهه ويثقون في فصاحته وحفظه وصدقه في الرواية وأهم شواهدهم كانت من القرآن الكريم.

2.2.7المدرسة الكوفية:

وضع أساسها الكسائي وتلاميذه انطلاقا مما تعلمه من أستاذه أبي جعفر الرؤاسي، ولقد اعتمدوا في السماع على القليل النادر وتوسعوا في أخذ الروايات دون تمحيص وتساهلوا في القياس، معظم نحاتها وأخذوا عن البصريين ثم خالفوهم وأسسوا لآرائهم واجتهاداتهم الخاصة.

3.2.7المدرسة البغدادية:

حاولت التوفيق بين المدرستين السابقتين لأنهما كانتا على خلاف في كثير من القضايا المهمة في اللغة العربية وظواهرها النحوية. مؤسسها هو ابن كيسان وكان علماؤها يتبعون مبدأ الانتخاب (الاختبار) من آراء المدرستين السابقتين وبذلك فمنهجها هو الجمع والتوفيق والمزج بالإضافة إلى الاجتهاد.

4.2.7المدرسة المصرية والأندلسية:

لم تضف هاتان المدرستان الجديدة الكثير إلى ما جاءت به المدارس الأخرى ولم يتعدى جهد المنتمين إليها التفصيل والاجتهاد في بعض الفروع دون المساس بالأصول.

3.7. مستويات الدرس اللساني العربي:

لم تختلف الدراسات العربية في تناولها للظاهرة اللغوية حسب ما سيأتي ذكره عما جاءت به الدراسات الغربية فيما يخص مستويات اللغة.

1.3.7المستوى الصوتي:

اهتم به العرب المسلمون لمعرفة أوجه النطق الصحيحة للحروف وضبطها في النص القرآني فوضع أبو الأسود الدؤلي النقط التي تدل على الحركات، وماهي هذه الحركات إلا علامات لخصائص صوتية. [25]

وإن كثيرا من أحكام القراءات والتجويد هي أمور لسانية صوتية كالإدغام، الإظهار، الوقف، الابتداء، الإمالة، المدود والتحقيق... وكلها تعتمد على بيان الصفات والمخارج في الأصوات. وتضمنت المؤلفات العربية في علم النحو مباحث وأبوابا عن الأصوات أما الكتاب الوحيد الذي ألف في الدراسات الصوتية وحدها فهو كتاب: سر صناعة الإعراب لابن جني.[26]

وأسفرت الدراسات العربية للأصوات عن النتائج التالية:

- وضع أبجدية صوتية للغة العربية (ترتيب الأصوات حسب المخرج من أقصى الحلق إلى الشفتين).
- الانسجام بين الحروف وكيفية بناء الكلمة العربية.
- تقسيم حروف العلة (أ، و، ي) إلى قصيرة وطويلة.
- تقسيم الأصوات إلى مطبقة ومفخمة.
- تقسيم الأصوات إلى صحيحة ومعتلة وميزوا صفات بعض الحروف كاللام والراء.
- تقسيم الأصوات إلى مجهورة ومهموسة باعتبار وجود الرنين (اهتزاز الأحبال الصوتية) .
- تسمية أعضاء النطق بأسمائها (رئة، حلق، حنجرة...إلخ) وقسموها إلى عدة أقسام.

2.3.7المستوى النحوي والصرفي:

يدرس هذا المستوى الأصوات إذا انضمت إلى بعضها البعض وشكلت وحدات أكبر منها ألا وهي المفردات أو الكلمات، وتقسم إلى أسماء وأفعال وحروف، قال ابن مالك: " كلامنا لفظ مفيد كاستقم... واسم وفعل ثم حرف الكلم" وقال شارحه ابن عقيل:" الكلم اسم جنس واحده كلمة وهي إما اسم وإما فعل وإما حرف، لأنها إن دلت على معنى في نفسها غير مقترنة بزمان فهي اسم، وإن اقترنت بزمان فهي فعل وإن لم تدل على معنى في نفسها بل في غيرها فهي الحرف" وهذا ما يقابله في اللسانيات الحديثة (المورفيم).

يقول ابن جني:" فالتصريف إنها هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة الصرف"[27]

نفهم من هذا أن البنية الصرفية هي حلقة الربط بين الصوت المفرد في ذاته وميدانه علم الأصوات وبين الجملة التي ميدانها علم النحو ويقوم علم النحو العربي على عدة أسس هي:

- **العامل والمعمول:** يقصد به تأثير المفردة على غيرها كحروف الجر مثلا: البيت الجميل مريح، عندما يدخل حرف الجر (في) على الجملة تصبح: في البيت الجميل راحة.
- **التعليل:** يعتمد عليه العرب في تأصيل القواعد النحوية وتفسير الحركة الإعرابية.
- **القياس:** وهو إلحاق الفرع بالأصل بجامع، ويتمثل في تعليل الحكم الثابت بالنقل الصحيح خاصة من القرآن الكريم.

إذا هذا المستوى يهتم بدراسة المفردة كبنية مستقلة في ذاتها ثم ضمن البنية الأكبر منها الا وهي الجملة وما يترتب عن ذلك من تحولات وقواعد.

3.3.7 المستوى المعجمي الدلالي:

ويشمل هذا المستوى البحث في الدلالة وهو أول تحد قرآني للعرب لبيانه وإعجازه ودقة ألفاظه فظهرت الدراسات حول هذا الكتاب تبحث في دلالات ألفاظه متبنية المنهج الوصفي الاستقرائي لتتبع اللغة في ألفاظها وموضوعاتها، كان البحث في دلالة الكلمات أهم ما لفت نظر اللغويين العرب فتحدثوا عن غريب الألفاظ والمجاز وأهمية الضبط (تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير المعنى مثلا: عَقْدٌ– عقَدٌ–عُقَدٌ)، فوضعوا لذلك المعاجم المختلفة جمعوا فيها ألفاظ اللغة العربية ورصدوا مدلولاتها المختلفة، ونجد في هذا المجال نوعين من المعاجم: معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني.

الخاتمة:

إن الحضارات الشرقية قد اهتمت باللغة اهتماما لا نظير له من القدماء المصريين إلى السومريين والأكاديين إلى قدماء الصينيين وحتى الفينيقيين والأجدر بالذكر أن الكتابة الفينيقية كان لها أثر كبير على نشأة معظم أبجديات العالم وقد تفرعت منها جميع الأنظمة الألفبائية المعروفة في هذا اليوم.

وقد أنشأ قدماء الهنود الدراسات اللغوية حفاظا على الفيدا حيث اشتهر النحو البانيني الهندي عالميا، أما دراسات الغربيين فقد اهتمت بشرح النصوص اللاتينية.

أما عن الدراسات اللغوية العربية فقد بدأت تتطور بعد ظهور الإسلام في القرن السابع للميلاد، وفي العصر الحديث فقد اشتدت العناية باللغة كنظرية الغريزة الكلامية أما اهتمام الباحثين باللغة في المدرسة العربية أدق ما عرفته البشرية في عصورها القديمة.

ومن خلال ما تقدم من القاء الضوء على اهم الجوانب التي تغطي نشأة اللغة ومختلف النظريات الخاصة بها فقد اختلف العلماء عبر العصور في تحديد نشأة اللغة وأصل الكلام مما أدى إلى ظهور عدة نظريات ومدارس وما من نظرية أو مدرسة إلا ولها معترضون يحاجون الطرف الآخر بالحجة والبرهان وهذه النظريات تفتقر إلى الأدلة الموضوعية ولذلك نقول لمن يقولون في تواضع اللغة واصطلاحها الى أن الأدلة في تسمية الأشياء بأنه لا توجد علاقة بين منطق الشيء واسمه، أما اللذين يقولون بالتوفيق والإلهام فنقول لهم، كيف يتعلم الإنسان ألفاظا ولا يتعرف على مدلولاتها، لذلك لا بد من التداخل بين كل النظريات التي تبحث في اللغة ونشأتها، لنخرج بنظرية واحدة هي كون اللغة نتاج تفاعل الإنسان بالذكاء والغرائز والحاجات المتصلة بالطبيعة والذي يعيش ضمن جماعة، الأمر الذي يساهم في نمو لغته عبر العصور والتي تتناقلها الأجيال وتضيف إليها من خلال التفاعل والتواصل مع المحيط.

الهوامش:

[1]علي عبد الواحد وافي: **علم اللغة**، مصر دار النهضة، ط7، دت، ص 11.

[2]مجمد الصغير بناني: **المدارس اللسانية في التراث العربي والدراسات الحديثة**، الجزائر، دار الحكمة، 2001، ص 17.

[3] Georges mounin : Histoire de la linguistiquedes origines au XXC siecle presses universitaires de France ,1976,p 39

[4] Georges mounin: Histoire de la linguistiquedes origines au XXC siecle presses universitaires de France ,1976, 106.

[5] Muhamed ali Al-Khuili,A :dictionary of theoretical linguistics,1982,p51

[6] John lyons, Introduction to theoretical linguistics, London,1968,20

[7]أحمد مختار عمر: **البحث اللغوي عند العرب**، القاهرة، عالم الكتاب، ط6، 1988، ص 7.

[8]أحمد مومن: اللسانيات والنشأة، ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون، الجزائر، ط3، 2007، ص32

[9]نفسه، ص31

[10]عمر بلخير: **تحليل الخطاب في ضوء النظرية التداولية**، منشورات الاختلاف ،ط1 ،2003، ص16.

[11] حسام البهنساوي: **التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004، ص 22.

[12] أحمد مومن: اللسانيات والنشأة، ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون، الجزائر، ط3، 2007، ص45

[13] أحمد محمد قدور: **مبادئ اللسانيات**، دار الفكر، 1999، ص11.

[14] علي عبد الواحد وافي: **علم اللغة**، مصر دار النهضة، ط7، دت، ص 24.

[15] مجمد الصغير بناني: **المدارس اللسانية في التراث العربي والدراسات الحديثة**، الجزائر، دار الحكمة، 2001، ص 15.

[16]نفسه، ص 14.

[17] أحمد مختار عمر: **البحث اللغوي عند العرب**، القاهرة، عالم الكتاب، ط6، 1988، ص 79 و80.

[18] بن قادة نجاة: **الجذور اللسانية العربية في اللسانيات الغربية الحديثة**، دراسة مقارنة بين الجرجاني وتشومسكي، مذكرة نخرج لنيل شهادة الماستر، الجزائر،2014، ص6.

[19]حسام البهنساوي: **التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004، ص 6.

[20] بوقرة نعمان: **محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة**، عنابة، منشورات جامعة باجي مختار، 2006، ص34.

[21]بن قادة نجاة: **الجذور اللسانية العربية في اللسانيات الغربية الحديثة**، دراسة مقارنة بين الجرجاني وتشومسكي، مذكرة نخرج لنيل شهادة الماستر، الجزائر،2014، ص11.

[22]نفسه، ص 13.

[23] ابن جني: ترجمة محمد علي نجار، **الخصائص**، بيروت، دار الكتب، دت، ص 34

[24]إبراهيم عبود السامرائي: **المفيد في المدارس النحوية**، الأردن، دار الميسرة، 2007، ص 29.

[25] عبد الكريم مجاهد: **علم اللسان العربي فقه واللغة العربية**، عمان، دار أسامة، ص 26، 2009

[26] بوقرة نعمان: **محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة**، عنابة، منشورات جامعة باجي مختار،2006، ص26.

[27] عبد الكريم مجاهد: **علم اللسان العربي فقه واللغة العربية**، عمان، دار أسامة، 2009، ص 49.

المراجع:

1. إبراهيم عبود السامرائي: **المفيد في المدارس النحوية**، الأردن، دار الميسرة،2007.
2. ابن جني: ترجمة محمد علي نجار، **الخصائص**، بيروت، دار الكتب، دت.
3. أحمد محمد قدور: **مبادئ اللسانيات**، دار الفكر، 1999.
4. أحمد مختار عمر: **البحث اللغوي عند العرب**، القاهرة، عالم الكتاب، ط6، 1988.

5. أحمد مومن: اللسانيات والنشأة، ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون، الجزائر، ط3، 2007.
6. بن قادة نجاة: **الجذور اللسانية العربية في اللسانيات الغربية الحديثة**. دراسة مقارنة بين الجرجاني وتشومسكي، مذكرة نخرج لنيل شهادة الماستر، الجزائر،2014.
7. بوقرة نعمان: **محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة**، عنابة، منشورات جامعة باجي مختار، 2006.
8. حسام البهنساوي: **التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004.
9. عبد الكريم مجاهد: **علم اللسان العربي فقه واللغة العربية**، عمان، دار أسامة، 2009
10. علي عبد الواحد وافي: **علم اللغة**، مصر دار النهضة، ط7، دت.
11. عمر بلخير: **تحليل الخطاب في ضوء النظرية التداولية**، منشورات الاختلاف، ط1 ،2003.
12. مجمد الصغير بناني: **المدارس اللسانية في التراث العربي والدراسات الحديثة**، الجزائر، دار الحكمة، 2001.
13. Georges mounin : Histoire de la linguistiquedes origines au XXC siecle presses universitaires de France ,1976.
14. John lyons, Introduction to theoretical linguistics, London, 1968.
15. Muhamed ali Al-Khuili,A dictionary of theoretical linguistics,1982.